

نساء التنظيم في مرحلة ما بعد داعش: خطر لا بد من مواجهته

فراس حنوش

دائماً ما كانت علاقة تنظيم داعش بالنساء مركبة، فمن ناحية فرض التنظيم أحكاماً متشددة على مظهر المرأة وكيفية حضورها في الأماكن العامة. ومن ناحية أخرى، عمد إلى تجنيد وتدريب عدد كبير من النساء ضمن صفوفه للقيام بمهام مختلفة. الآن، مع اقتراب هزيمة التنظيم عسكرياً، العديد من هؤلاء النساء يرغبن في العودة لحياتهن قبل الانضمام للتنظيم.

تتواتر الأسئلة حول مصير نساء التنظيم، الأجنيات والمحليات، وكيفية التعاطي معهن، خاصة من جانب قوات سوريا الديمقراطية (قسد) في المناطق التي استعادت السيطرة عليها من تنظيم داعش، أو من جانب حكومات الدول الغربية، والتي تنتمي إلى بلدانهم العديد من هؤلاء النساء.

قوات قسد غير مؤهلة للتعامل مع هؤلاء المسجونات، ولكنهم ليسوا وحدهم في هذا السياق. الحكومات الغربية يواجهون نفس المشكلة، حيث أن العديد من هؤلاء النسوة يحملن جنسيات هذه الدول، ويرغبون في العودة لبلادهم. لعقود طويلة، قاتل المقاتلين الأجانب في الخارج وعادوا لبلدانهم الأصلية، وقد عانت حكومات هذه الدول في كيفية التعامل مع هؤلاء المقاتلين. إن الاختلاف الصارخ هنا هو أن المقاتلين الأجانب ينخرطون مباشرة في القتال العنيف، في حين تتخذ نساء تنظيم داعش طرق غير مباشرة في تشكيل ظاهرة الإرهاب، وتجنيد أعضاء جدد من الدول التي ينتموا إليها وخارجها. بالإضافة إلى ذلك، يتجنب المقاتلين الأجانب العودة لبلدانهم لعلمهم أنهم قد يتم القبض عليهم، ولكن النساء يتواصلن مباشرة مع بلدانهم الأصلية من أجل التأكيد على انتمائهم بحكم المواطنة لهذه الدول، حتى يتمكنوا من ترك الظروف غير المعاشة التي يخبرونها تحت حكم داعش.

إن منطق انضمام الرجال إلى تنظيم داعش أكثر وضوحاً، حيث يسعى الكثير منهم لمغامرة القتال من أجل قضية يعتبرونها عادلة وأخلاقية بجوار اخوتهم. ولكن الأمر بالنسبة للنساء ليس بهذا الوضوح، الكثير منهم لم يكن لديهم الاختيار، لأن أيولوجية التنظيم تفرض أدوراً تقليدية على النساء في المناطق التي تقع تحت سيطرته. تعددت الأحكام التي فرضها التنظيم على النساء، فقد منع خروج المرأة وحدها، وتم تحديد قواعد اللباس المتمثلة بالخمار الذي يغطي كامل الجسد. وتم تحريم ارتداء الكعب العالي أو الملون، كما تم منع المرأة من وضع العطور، وحظر السفر لمن هن بين سن الـ 8 إلى 50 سنة.

ولكن على الجانب الآخر، تم إيكال مهام معينة للنساء داخل التنظيم. النساء الذين انضموا إلى تنظيم داعش لعبوا أدوراً تنظيمية في تأسيس التنظيم. تلعب النساء أدوراً تعليمية وطبية وأدواراً في التجنيد، ويشاركن أيضاً في تنفيذ العمليات الإرهابية التي يقوم بها الأعضاء الذكور. ويقوم النساء أيضاً بتوفير مصادر دخل للتنظيم.

النساء الأجنيات، من أوروبا والولايات المتحدة، اللاتي انضممن للتنظيم كان لهن دوراً محورياً في عمليات تجنيد عناصر جديدة في صفوف التنظيم، وذلك من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، عن طريق إدارة المنتديات الجهادية، والربط بين المنتسبين الجدد من جهة، وقيادة التنظيم المسؤولة عنهم من جهة أخرى. إضافة إلى محاولات اقناع النساء المحليات بالانضمام لداعش والزواج من عناصره، واستهدفن أيضاً المدارس في الأحياء الفقيرة، في محاولة لجذب أكبر عدد من الطالبات أو النساء بشكل عام إلى صفوف التنظيم، وتطوير علاقات أفضل مع الأفراد المستهدفين، وجعلهم يشعرون أنهم جزء من الجماعة من خلال محادثات طويلة ودؤوبة عبر الإنترنت.

تبرز في هذا السياق حالة المواطنة البريطانية [سالي جونز](#) - والتي عرفت بكنية أم حسين البريطاني داخل التنظيم - التي انضمت لتنظيم داعش في عام 2013، ولعبت دوراً كبيراً في تجنيد عناصر غربية في صفوف التنظيم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى أدوار تكتيكية أخرى، من قبيل التخطيط لعمليات إرهابية في دول غربية.

بالإضافة إلى ذلك، تتولى [كتائب الخنساء](#) - والتي تمثل الشرطة الدينية النسائية، أو ما يعرف بجهاز الحسبة في مناطق سيطرة التنظيم - مراقبة التزام النساء في مناطق نفوذ التنظيم بأحكامه، ومعاقبة المخالفات. تتراوح العقوبات التي تنفذها المجندات في صفوف الحسبة النسائية، من الجلد إلى حضور دورة شرعية إلزامية، السجن ودفع غرامة مالية، الوضع في أقفاص حديدية في الشوارع، أو استخدام وسائل عقاب جسدية كالعضاضات الحديدية، لتكن المخالفات عبرة لغيرهن.

عندما تأسس تنظيم داعش للمرة الأولى، قدم ما يسمى بـ "جهاد التمكين" والذي يشير إلى أن القتال مؤسس على خطة أكبر لتأسيس دولة إسلامية بسلطة مركزية. ولكن بعد خسارة الأرض وانهيار مناطق سيطرته، حوّل تنظيم داعش استراتيجيته إلى ما يعرف بـ "جهاد النكاية"، والذي يعني إضعاف الأعداء والتحرش بهم، مع اكتساب مجندين جدد مع مرور الوقت. مع هذا التحول، فإن أدوار عناصر داعش – رجالاً ونساءً – من المتوقع لها أن تتغير.

ليس من المتوقع هزيمة تنظيم داعش عسكرياً بصورة كاملة. طوال أربع سنوات، منذ سيطرة تنظيم داعش على الرقة وإعلانها عاصمة له، عمل على إعادة تشكيل شخصية التابعين له، وتغيير نمط تفكير السكان في مناطق سيطرته من خلال الدورات والمعسكرات الشرعية، بما يضمن قدرته على السيطرة عليهم. عمل التنظيم على زرع أفكاره وايدولوجيته المتطرفة في عقول النساء المنتسبات له. هؤلاء النساء محملين بكل أنواع التكفير والتوحش والكره ضد المجتمعات التي عاشوا فيها من قبل الانضمام للتنظيم. لن يكون من السهل عليهم إعادة الاندماج في هذه المجتمعات مرة أخرى.

تواجه قوات قسد تحدي كيفية التعامل مع نساء التنظيم. حاولت قوات قسد التعاطي مع هذه المعضلة من خلال [الإفراج](#) عن بعضهن، اللاتي لم تتلطخ أيديهن بالدماء، والسماح لهن بالعودة إلى مجتمعاتهم المحلية.

ولكن هذا الأسلوب قد أثار جدلاً كبيراً، حيث يتم إعادة هؤلاء النسوة إلى مجتمعاتهم المحلية دون إخضاعهم لأي دورات تأهيلية على المستوى الفكري. الأمر الذي يعني أنهم سيمثلون خطراً كبيراً على مجتمعاتهم المحلية. يتخوف الغرب أيضاً من النساء العائدات من مناطق سيطرة داعش، خاصة احتمالية قيامهن بتجنيد مقاتلين جدد في صفوف التنظيم، ما يفتح الباب لتنفيذ عمليات إرهابية جديدة في أوروبا والولايات المتحدة.

في هذا السياق، حظيت قضية الشابة البريطانية "[شامينا بيجوم](#)"، التي عرفت بعروس داعش، باهتمام إعلامي واسع إثر طلبها العودة إلى بلدها مع رضيعها، بعد قضائها مدة أربع أعوام في كنف التنظيم. لم تبد بيجوم أي ندم مطلقاً على الانضمام لداعش. الأمر الذي دفع السلطات البريطانية إلى تجريدتها من جنسيتها [ضمن 100 آخرين](#) قد انضموا سابقاً إلى التنظيم الإرهابي.

شمينا ليست الوحيدة، [هدى مني](#)، الشابة العشرينية والتي تحمل الجنسية الأمريكية، تتوسل اليوم من أجل فرصة ثانية تسمح لها بالعودة، والانضمام إلى أسرته في ولاية ألاباما الأمريكية. ولكن وزير الخارجية الأمريكية مايكل بومبيو أنكر أن لديها الجنسية الأمريكية أو أي وثائق أمريكية تسمح لها بالعودة للولايات المتحدة. تزوجت هدى سابقاً من ثلاثة مقاتلين في التنظيم، وشهدت عدداً من عمليات الإعدام خلال فترة تواجدها في صفوف داعش.

إلا أن عملية إعادة التأهيل تواجه صعوبات كبيرة، تتمثل في الحساسيات القبلية والقومية والدينية في المنطقة، بين ثنائيات شيعة-سنة، "عرب-أكرد"، والتي غذيت بالأحقاد القومية والدينية طيلة فترة الصراع خلال السنوات الثمان الماضية.

استمرار هذه الانقسامات يساهم في تعزيز الأفكار والأيدولوجيات المتطرفة، ما يجعل من الضروري إيجاد برامج خاصة تكون أكثر فعالية، والتي تتضمن إخضاع كل من النسوة وأطفالهن لعملية تقييم شاملة على المستوى الفردي، تحدد الأهلية النفسية والاجتماعية، وتحديد المتطلبات الفردية، والعمل على إعداد برامج تأهيل تتناسب مع كل حالة، مع مراعاة الخلفية الدينية والاجتماعية.

مع غياب البرامج الهادفة إلى تمكين عملية إعادة الاستقرار في المناطق الخارجة عن سيطرة داعش، سيؤدي ترك خلايا التنظيم النائمة تكبر إلى مصير كارثي. خاصة في ظل توجه التنظيمات الإرهابية بعد هزيمتها عسكرياً إلى العمل بصورة لا مركزية، حيث لا تكون القيادة هي من يحدد الأهداف الرئيسية.

عناصر تنظيم داعش سوف يكون لهم حرية اختيار الأهداف التي يستهدفوها، ومتي سوف يستهدفوها. من المحتمل أن يتواصل تنظيم داعش مع عناصره النسائية السابقة من أجل دعم عملياته السرية. إن وضع برامج تأهيل هي الأداة الأهم من أجل مساعدة هؤلاء النساء ومنعهم من العودة لصفوف تنظيم داعش.

تنظيم داعش صاغت برامجها التدريبية وايدولوجيتها من أجل أن تستمر في إنتاج أجيال جديدة من المقاتلين. إن إساءة معاملة أو تجاهل أعضاء تنظيم داعش السابقين من النساء سوف يكون مصدر للخطر حينما يعودوا إلى مجتمعاتهم.

العديد منهم سوف يستمروا في العيش في سوريا مما يعني استمرار تعريض المجتمعات المحلية للخطر وسيادة عدم الاستقرار.

وعليه فإن عملية إعادة تأهيل مقاتلي داعش السابقين – بما فيهم النساء - في المناطق الخارجة عن سيطرة تنظيم داعش، أو ممن كانوا في صفوفه، خطوة لا بد منها للقضاء على التنظيم والعنف والتطرف الذي يمثلهما. هذه البرامج في حاجة لدمج النساء والأطفال في هذه البرامج، ويجب البدء في هذه البرامج في أقرب وقت ممكن. إن التوقف عند الانتصار العسكري على تنظيم داعش هو أمر شديد الخطورة ويعبر عن قصر نظر.

فراس حنوش: هو ناشط من الرقة، وطبيب سابق مع مؤسسة أطباء بلا حدود في سوريا، وعضو في حملة الرقة تذبج في صمت.